وكان ابن السّاعاتي ممن عارضوا قصيدة كعب بن زهير بمِدْحة نبويّة يكرِّر فيها ما استقرَّ لدى المتصوِّفة في أمر الحقيقة المحمّديّة ، وأن الرّسول ﷺ هو جوهرُ الوجود وعِلّةُ الكون ، وأنه صاحب الشّفاعة ، والذي بشّرت به الكتبُ السّماويّة السّابقة :

هُوَ البشيرُ النّذيرُ العَدْلُ شاهِدُهُ ... وللشّهادَةِ تَجْرِيحٌ وتَعْديلُ
لولاهُ لم تكُ لا شَمْسٌ ولا قَمَرٌ ... ولا الفُراتُ وجارَاهُ ولا النّيلُ
وسَيِّدُ الرُّسْلِ حَقّا لا خَفَاءَ بِهِ ... وشافعٌ في جميع الناس مَقْبُولُ
بَثّتْ نُبُوّتَهُ الأخبارُ إذْ نَطَقَتْ ... فَحَدّثَتْ عنهُ تَوْرَاةٌ وإنجيلُ [1]

ومن شُعراء الشّام أيضاً في هذه الفترة فِتْيَان الشّاغُوريّ (المتَوَفّى سنة ٦١٥)[2] ، وكان شيعيَّ المَذْهَب ، ومع ذلك فقد كان مُعَلِّماً لابن أخي صلاح الدين ، وفي ديوانه تلتقي مراثي الحسين وآل البيت مع المديح النّبويّ ، الذي يُعَبِّر فيه عن شوقه لزيارة قبر الرّسول ﷺ وتَعْفير خَدِّه في ترابه :[3]

أؤَمِّلُ من خَيْرِ الأنام شَفَاعَةً ... بها في نَعيمٍ بالجنانِ أخَلَّدُ
وَدِدْتُ بأنّي زُرْتُ قَبرَكَ راجِلاً ... وقَبّلْتُ تُرْبًا أنْتَ فيه مُوَسَّدُ

ويكاد المديح النّبويُّ منذ بداية القرن السّابع يكون موضوعاً لا يتخلّف عنه شاعرٌ في مصرَ ، فمنهم المُقِلُّ ومنهم المُكْثِر ، ومنهم من كانوا يُفْردون له دواوين كاملةً ، وأعان على ذلك ازدهارُ الفكر الصّوفيِّ والقبولُ العظيم الذي لقيتْه الطُّرق الصّوفيّة ، التي كانت حلقاتها تعمل على استثارة المواجد بإنشاد « السّماعات » وترتيلها ، وطبيعيٌّ أن يكون الكثير من هذه السّماعات في المديح النّبويّ ، ويبرز في مصر في الثُّلُث الأوّل من القرن السّابع صوفيُّها

(١) عصر الدّول والإمارات ، ج ٦ ، ص ٧٦١ .
(٢) عن فِتْيان الشاغوري انظر : عصر الدول والإمارات ، ج ٦ ، ص ٦٧١ ، وبروكلمان ، ج ٥ ، ص٥٠.
(٣) عصر الدول والإمارات ، ج ٦ ، ص ٧٦١ ، راجلاً : ماشياً .